

مجلة علميَّة أدبيَّة صحيَّة صناعيَّة

المشتري

اذا نظرت في هذه الايام الى الافق الشرقي في اوائل الليل استوقف بصرك كوكبٌ ساطع الضياء كبير الحجم لا ترى له نظيراً في كل ما حولك من السماء هو المشتري . وهو الكوكب الذي طالما عبدهُ المتقدمون من الامم وعدّوهُ كبير الآلهة و زعيمها وذلك لما رأوا من عظمة بهائهِ و إشرافهِ و بُطء حركتهِ بين الكواكب كانهُ شيخٌ جليل يخطو خطواً متثاقلاً خلافاً للزُهَرة مثلاً فانها مع شدّة لمعانها الى ما يفوق لمعان المشتري غالباً سريعة الحركة والانتقال في فلكها ثم هي لا تظهر الا في جوانب القُبّة السماوية ولا ترتفع الا قليلاً . على انهُ بعد اختراع الآلات البصرية ظهر ان المشتري هو على الحقيقة اكبر اجرام العالم الشمسي واعظمها حجماً ومادّةً الى ما لا يدانيهِ فيهِ شيءٌ منها بل لو جُمعت تلك الاجرام بأسرها من عُطارِد الى نبتون وجُعِلت جرماً واحداً لم تزد على ثلثي حجمهِ ولو وُضِعت جميعها في كفّة ووُضع

هو في كفة لم تزد على خُمسَي مادّتهِ

وقُطر هذا السيّار ٨٨٠٠٠ ميل اي ما يزيد على احد عشر ضعفاً من



ش ١

قطر الارض بحيث تكون الارض بالقياس اليهِ كالحِمَّصة في جنب نارنجةٍ كبيرة على نحو ما ترى في الرسم امامك وقد مثلنا فيهِ كلاًّ من هذين الجرمين

بقياسهِ النسبيّ . وهو يدور حول الشمس في فلكٍ هليلجي يبعد عنها نحو خمسة اضعاف من بعد فلك الارض . الا ان هذه المسافة تختلف بالقياس الى موقعهِ من فلكهِ فيكون في اقرب مُسَافاتهِ عنها على ٤٤٨ الف الف و ٤٥٠ الف ميل وفي ابعدها على ٥٠٠ الف الف و ١٢٤٠ الف ميل . ويتمّ دورتهُ حول الشمس في ٤٣٣٢ يوماً من ايام الارض او في ١١ سنة و ١٠ اشهر و ١٧ يوماً . وهو يجري في فلكهِ بسرعة ٤٧٠ ميلاً في الدقيقة وهي اقلّ من نصف سرعة الارض الا انهُ لسرعة دورانهِ حول محورهِ لا يزيد يومهُ على ١٠ ساعات ولذلك تكون حركتهُ حول الشمس وحركتهُ على نفسهِ متوافقتين بمعنى انهُ يقطع من فلكهِ في كل دورة بقدر محيطهِ فقط بخلاف الارض مثلاً فانها كلما دارت حول نفسها مرةً تقطع من فلكها ما يعدل ٦٤ ضعفاً من قياس محيطها كما ذكرنا تحقيق ذلك في غير هذا الموضع (١) مما لعلنا سنذكر سببهُ في فصلٍ مخصوص ان شآء الله

ثم انهُ لسبب هذه السرعة في دورانهِ حول محورهِ قد اشتدّ تسطُّحهُ من جانب القطبين بحيث ان قطرهُ القطبيّ لا يزيد على ٨٢٦٠٠ ميل فيكون الفرق بين قطريهِ نحو ٥٤٠٠ ميل ومقدار التسطح ١/١٧ . وقد استُدِلّ من ذلك على ان كثافتهُ لا تزيد على ٠،٢٤٣ من كثافة الارض غير انهُ باعتبار عظم جرمهِ تزن الاشيآء على سطحهِ ضعفين ونصف ضعف من وزنها على الارض فالرجل الذي وزنهُ عندنا ٦٠ اقة مثلاً اذا نُقِل الى المشتري كان وزنهُ ١٥٠ اقة

(١) مجلد السنة الثانية ص ٣٢٦ و ٣٢٧

اما جملة مادّة المشتري فهي تبلغ نحو ٣١٠ اضعاف من مادّة الارض وهو ما يُؤخَذ من سرعة دوران اقماره بالقياس الى دوران قمر الارض . ولذلك فان مركز الجاذبية بينهُ و بين الشمس يقع الى جانب الشمس اي خارج محيطها على نحو ما تراهُ مرسوماً امامك بحيث يقال ان كلاًّ من هذين



ش ٢

الجرمين يدور حول الآخر . وذلك ان مادّة المشتري تعدل ١/١٠٤٨ من مادّة الشمس ومعلوم ان قوة الجاذبية انما تكون بحسب مقدار المادّة في الجسم فاذا اخذنا متوسط المسافة بين الشمس والمشتري وهو ٤٧٤ ٨٤٥ الف ميل وقسمنا هذا العدد على ١٠٤٩ وهو مجموع اضعاف مادة المشتري في الجرمين يخرج ٤٥٣ الف ميل والمسافة بين مركز الشمس ومحيطها لا تزيد على ٤٣٠ الف ميل فيكون موقع نقطة الجاذبية المشتركة بينهما على بعد ٢٣ الف ميل عن محيط الشمس . وعليهِ فاذا فرضنا (ش) في الشكل مركز الشمس و (م) مركز المشتري وقعت نقطة الجاذبية المذكورة عند (ج) فيكونان اشبه بطرفي قبّان يتوازنان على هذه النقطة

اما منظر المشتري فانهُ مع بعدهِ الشاسع اذا وُجِّه اليهِ منظار كانت الزاوية التي يُرَى عليها نحواً من ضعفين من زاوية المرّيخ فيكون مرئيّ سطحهِ اربعة اضعاف سطح المرّيخ . واذا كان في الاستقبال وهو على الهاجرة رُؤي سطحهُ بمقدار ١/٤ من سطح القمر بحيث انهُ اذا نُظِر اليهِ بمنظار يعظّم المرئيّات

اربعين ضعفاً فقط رُؤي في حجم القمر بالعين المجرَّدة

واول ما يستوقف نظر الراصد فيهِ ما يرى على سطحهِ من المناطق المختلفة الالوان ممتدةً على موازاة خطّ الاستواء منها بيضاء ومنها دكناء الى الصُفرة او النارنجية يتخللها احياناً بُقع نيّرة او مظلمة اذا تتبعها الناظر رآها تنتقل من الشرق الى الغرب بحيث انها تقطع سطح السيّار من جانبٍ الى آخر في مدة خمس ساعات . وهذه المناطق والبُقَع تتبدل اشكالها بين وقتٍ وآخر فلا تثبت على منظرٍ واحد وهذا مما يدلّ على انها من جوّ السيّار لا من سطحهِ وانما هي منظر الغيوم المحيطة بهِ وهي تتحرك بحركة السيار على محورهِ الا انها تموج وتنتقل في مواضعها تبعاً لحركات الرياح التي تسوقها من موضع الى آخر على مثال الغيوم السابحة في جوّ الارض . ولذلك فان انتقالها من الشرق الى الغرب ثم رجوعها بنفسها من الشرق بعد ان تقطع الجانب الاعلى من محيط السيار لا يُؤخَذ دليلاً صادقاً على مدة دوران السيار حول محورهِ لان الريح اذا كانت غربية زادت في سرعة حركتها الى الغرب واذا كانت شرقية ثبّطتها عن مشايعة حركة السيّار واذ ذاك لم يكن بدٌّ لتعيين مدة دوران السيّار على نفسهِ من رصد حركاتها دفعاتٍ كثيرة واخذ متوسط سرعتها . الا ان هناك امراً آخر يزيد المسئلة التباساً وهو ان حركة هذه الغيوم تتفاوت سرعةً وبُطأً بين عرضٍ وآخر من عروض السيّار فان المجاورة منها لخط الاستواء اسرع حركةً من التي تليها الى نواحي القطبين على حدّ ما يُرَى في حركات السُفَع على وجه الشمس .

وقد شرع الراصدون في مراقبتها منذ سنة ١٦٦٥ الا انهُ الى الآن لم يكد

اثنان منهم يتفقان على تعيين مدة واحدة لدوران السيار حول محورهِ . على ان جملة ما هنالك من الفرق لا تتعدى ٦ دقائق من الزمن فان اقل ما خرج لهم في تعيين المدة المذكورة ٩ ساعات و ٥٠ دقيقة وهو ما وجدهُ كاسيني في احد رصودهِ سنة ١٦٩٢ واكثرهُ ٩ ساعات و ٥٦ دقيقة وهو ما وجدهُ سِلفابيل سنة ١٧٧٣ . وهذا انما هو في الحقيقة تقدير حركة الغيوم على وجه السيار كما قدمناهُ واما سطح السيار فلا يُرَى

على انهُ في سنة ١٨٧٨ تنبه اصحاب الرصد الى بُقعةٍ كبيرة على وجه السيّار تبين لهم بعد تكرار المراقبة والقياس انها ثابتة في موضعها وهي بقعةٌ حمراء بلون الآجرّ مستطيلة الشكل متجهة من الشرق الى الغرب على نحو ٢٥ من العرض الجنوبي يبلغ طولها نحواً من ٢٨٠٠٠ ميل في عرض ٨٧٠٠ ميل . وقد لبثت تُرَى في مكانٍ واحد وعلى شكل واحد مدة خمس سنين متوالية ثم اخذ يضعف لونها شيئاً فشيئاً وربما تغيّر شكلها بعض الشيء ولكنها لم تزايل موضعها . فاستُدِلّ من ذلك على انها ليست غيوماً سابحة في جوّ السيّار وانما هي شيءٌ متصل بسطح السيار قد يكون جبلاً نتأ في ذلك الموضع . ومذ ذاك انصرف الراصدون الى مراقبتها فلم يكن الفرق بين خارج رصدٍ وآخر الا بضع ثوانٍ بسبب ما ذُكر من تغير شكلها وتزحزح حدودها ولعلّ ذلك ناشئ عن السحب المكتنفة لها بان تمتدّ احياناً على بعض اطرافها وتنحسر عنها احياناً . والذي يؤخذ من جملة رصودهم لها ان دورة هذا السيار على محورهِ تتم في ٩ ساعات و ٥٥ دقيقة و ٣٨ ثانية

ثم ان محور المشتري اشبه بخطٍ قائم على سطح فلكهِ لان ميلهُ لا يتجاوز

ثلاث درجات ولذلك لا تتميز فيهِ فصول السنة فهو في ربيع دائم والليل والنهار فيهِ متساويان ابداً غير ان النهار يكون اطول قليلاً بسبب الشفق وكذلك درجة الحرارة في كل عرضٍ من عروضهِ لا تتغير طول السنة . وليس هناك اقاليم ذات بردٍ قارس لان الشمس لا تغيب عن شيءٍ من سطح السيار الامدة الليل الذي هو اقلّ من خمس ساعات في جميع عروضهِ على السوآء والمنطقة الحارّة هناك لا تتجاوز ثلاث درجات على كلٍّ من جانبي خط الاستوآء كما ان الدائرة المتجمدة لا يتعدى قطرها ست درجات حول كلٍّ من القطبين

اما ما يصل الى المشتري من حرارة الشمس وضوئها فهو $\frac{1}{27}$ مما يصل الى الارض لان سطحها يُرَى من هناك على مثل هذه النسبة ولذلك كان المتبادر الى الذهن ان جوّهُ ابرد من جوّ الارض. لكن الذي يظهر ان الامر بالخلاف كما يُستدَلّ عليهِ من الابخرة العظيمة المنتشرة حولهُ وكثافة الغيوم التي تحجب جرمهُ وما يحدث فيها من الاضطرابات العظيمة مما يدلّ على ان الجوّ هناك احرّ كثيراً من جوّ الارض . فانهُ بعد ان يلبث احياناً مدة اشهر على غاية السكينة اذ تعصف فيهِ زوابع هائلة على مساحة عظيمة قد تكون اوسع من الارض بأسرها . ومن الغريب أن قد رُصدت بعض الزوابع الثائرة هناك فكانت سرعتها ١١٠٠٠٠ ميل في الساعة اي اكثر من ٣٠ ميلاً في الثانية ومعلوم ان العاصف عندنا اذا بلغت سرعتهُ ١٠٠ ميل في الساعة دمّر كل شيءٍ يمرّ بهِ فما الظنّ بعاصفٍ تبلغ سرعتهُ وشدّتهُ الفاً ومئة ضعف مما ذُكِر. وهذا مما يدلّ على ان هذا السيّار لا يزال

حارّ السطح لان مثل ما ذُكر لا يمكن ان يكون صادراً عن مجرَّد حرارة الشمس الواصلة الى هناك

اما الخلائق الحيّة على سطح المشتري فمما يُستبعَد وجودها الآن الا ان يكون شيء من غريب انواع النبات والحيوان التي يمكن ان تعيش بين تلك الاضطرابات والانقلابات الهائلة على نحو ما كان في الارض في اوائل الازمنة الجيولوجية ولعلهُ لا يبرد سطحهُ ويصير اهلاً لسُكنى خلائق من مثل ما في الارض الا بعد آلافٍ كثيرة من السنين . وسنعود الى تتمة الكلام في هذا السيّار في احد الاجزآء الآتية ان شآء الله

اللباس والجسم

من المعلوم ان اول غرض يُقصَد من اللباس هو وقاية الجسم من الحرّ والبرد فهو لا بد ان يختلف تبعاً للفصل والاقليم والسنّ بحيث تبقى الحرارة الغريزية على درجة واحدة في الجسم لانها اذا انحطّت او ارتفعت درجةً واحدة عن ميزانها الطبيعي الذي هو ٣٧ من السنتغراد كان الجسم عُرضةً للخطر ولذلك كان اعتدال حرارة الجسم من الشروط التي لا بد منها لبقآء الحياة

ولا يخفى ان الجانب الاكبر من الحرارة الغريزية انما يتوزع عن سطح الجسم ولذلك وجب ان يُختار من اللباس ما يقف في طريق انبعاثها وتبدُّدها ولما كان الهوآء من اضعف الموصلات للحرارة كان افضل الملابس اكثرها حبساً للهوآء بحيث يكون الجسم محاطاً بهِ بطبقةٍ منهُ تكفل بحفظ

حرارتهِ عليهِ وتمنع نفوذ البرد اليهِ من الخارج

وقد تكررت مباحث العلمآء وتجاربهم لتعيين الملابس الوافية بهذا الغرض وآخر امتحاناتهم ما اجراهُ المسيو بَرْجُونْيَاي استاذ العلم الطبيعي في مدرسة الطب بكلية بُوردُوَ فانهُ اتخذ اسطوانةً فارغة من النحاس الاحمر بقدر جذع الانسان فملأها مآء جعل حرارتهُ تتجدد على ما يقرب من ٣٧° ووضعها في غرفةٍ باردة تحط حرارتها عن حرارة الاسطوانة ٢٥° ثم البسها ضروباً مختلفة من الثياب وقاس الزمن الذي كانت فيهِ حرارة الاسطوانة تبرد وهي مكسوَّة بكل واحد من تلك الملابس مع تعيين مقدار البرودة الى ١/١٠ من الدرجة

وكان من خلاصة تجاربهِ ان افضل الأقمصة وقايةً من البرد ما كان متخذاً من الفلانلَّة القطنية وتليها في ذلك الاقمصة الصوفية المعروفة بالاقمصة الصحيَّة (وهي المضاعفة النسج من الصوف الخالص) مع أن ثمنها يفوق ثمن الاولى بثلاثة اضعاف . ودون هذه الاقمصة القطنية ذات النسيج المتباعد . على ان الفلانلَّة الجديدة افضل وقايةً من العتيقة التي قد تكرر عليها الغسل

اما الدُثُر اي الملابس الخارجية فافضلها الفرآء التي فروها الى الظاهر وبطانتها من جوخ وتليها التي فروها الى الداخل والجوخ من الخارج

ثم ان اعضآء الجسم تتفاوت في الحرارة فلا بد من مراعاة ذلك في اللباس فان الناحية الامامية من الساقين والركبتين والقدمين اقلّ حرارةً من سائر الجسم لقلّة العضلات هناك فلا بدّ من جعل اللباس على هذه

المواضع وافياً بتدفئتها فان من يجد برداً في رجليهِ انما يكون من قِبَل خفّة الملبوس فيهما . وقد جرت العادة ان نحبسهما في الجوارب ونضغط عليهما بالحذآء وهو على الغالب مصبوغ بالسواد اي ملوَّن باشدّ الالوان ايصالاً للحرارة فلا جرم ان ما اصطلحنا عليهِ في كسوة الرجلين يُعَدّ من أَعوَن الذرائع على خروج الحرارة وانطلاقها

وذكر غيرهُ شروطاً أُخر لصلاحية اللباس منها ان يكون نسيج الثوب رخواً لانهُ كلما كان أَلين كان المقدار الذي يدّخرهُ من الهوآء اعظم قال ولهذا يكون الصوف المنسوج نسجاً خشناً اشدّ ادفآءً من المنسوج نسجاً دقيقاً ناعماً وتكون الانسجة المخملة اوقى لحرارة الجسم من الملسآء المدمجة

ومنها الوان الملابس فان الانسجة السودآء والمُشرَبة الالوان تكون الحرارة اشدّ نفوذاً لها من الملابس البيضآء والصافية الالوان ومن مقتضى ذلك ان تكون الالبسة السودآء ابرد في الشتآء واحرّ في الصيف من الالبسة البيضآء وفضلاً عن ذلك فقد علم بالتجربة ان الملابس البيضآء ابطأ تشرّباً للروائح وغيرها من الجواهر المنتشرة في الهوآء من كل نوع ولذلك ينبغي ان تُختار في الاماكن التي يُخشَى منها عدوى بعض الامراض

ثم ان اكثر المنسوجات قبولاً لامتصاص الرطوبة هي ابردها وابلغها في ذلك الكتان والقِنَّب لسَعَة المسامّ في اليافهما ويليهما القطن ثم الحرير ثم الصوف ولذلك اذا ترطب الصوف كان ابطأ جفافاً . اما باعتبار الالوان فالابيض على كل حال اقلّ امتصاصاً للرطوبة فهو من جميع الاوجه افضل الالوان واحراها بأن تختار صيفاً وشتآءً . انتهى

دلالة الاقوال على الصفات والافعال

بقلم حضرة الاستاذ الفاضل عيسى افندي اسكندر المعلوف مدرّس آداب العربية والخطابة في الكلية الشرقية في زحلة

لا تحسب الناس سوآءً متى تشابهوا فالناس أطوارُ
وانظر الى الاحجار في بعضها مآءٌ وبعضٌ ضمنها نارُ

قرأت في احد اجزآء السنة الماضية من الضيآء استدراكاً شائقاً دبجتهُ يراعة حضرة السريّ الالمعيّ عزتلو احمد بك تيمور فذكّرني اقتراح حضرتهِ بما كنت قد بدأت بجمعهِ منذ سنوات من اقوال الكتاب والشعرآء التي تدل على صفات واخلاق قائليها أو تخالفها وحال دون اتمامهِ بعض الشواغل فاخترت مما جمعتهُ ما سأوردهُ في هذه المقالة راجياً ان تنال الزُلفَى لدى ادبآئنا الكرام وتمهّد لي من حلمهم عذراً عمّا لعلّني فرّطتُ فيهِ أو أفرطت

ولقد تضاربت الآرآء في شأن دلالة الاقوال على صفات قائليها واخلاقهم فمن ذاهب الى ايجاب ذلك حتى قال العرب « العلمآء تحت سنّ اقلامهم » وقال الفرنسويون « الانشآء هو الانسان » وقال الانكليز « يكون الرجل كما يتكلم » وجآء في الكتاب المقدس « من فضلة القلب يتكلم اللسان » . وكان ابرهيم الخواص من اهل القرن الثالث للهجرة يقول أربع خصال عزيزة « عالمٌ يعمل بعلمهِ وعارفٌ ينطق عن حقيقة فعلهِ ورجلٌ قائم لله بلا سبب ومريدٌ ذهب عنهُ الطمع » الى غير ذلك مما يؤيد هذا الرأي كقول حسّان بن ثابت

وانمـا الشعر لبّ المرء يعرضهُ　　على المجالس ان كَيساً وان حُمقا
وان اشعر بيتٍ انت قائلهُ　　بيتٌ يقـال اذا انشدتهُ صدقا

ومن ذاهبٍ الى سلب ذلك حتى قال الحافظ ابو الخطّاب بن دحية في الفتح بن خاقان « انهُ كان خليع العذار في دنياهُ ولكن كلامهُ في تآليفهِ كالسحر الحلال والمآء الزلال » وانشد دعبل

يا جواد اللسان من غير فعلٍ　　ليت في راحتيك جود اللسانِ

وسُئل اسحق الموصلي عن سخآء اولاد يحيي بن خالد البرمكي فقال « اما الفضل فيرضيك فعلهُ . واما جعفر فيرضيك قولهُ . واما محمد فيفعل بحسب ما يجد »

ولذلك رأينا ان نقسم الكلام الى ثلاثة ابواب نورد فيها بالاختصار ما يؤيّد كل مذهبٍ فنقول

(١ً) من تدلّ اقوالهم على صفاتهم وافعالهم

نعرف من هؤلآء السموأل بن عاديآء الذي تُضرَب الامثال بوفآئهِ ومن وقف على قصة دروع امرئ القيس المودعة عندهُ وحفظهِ اياها مع تهدد طالبيها بقتل ابنهِ ثم قتلهم اياهُ وهو لم يخفر للعهد ذمّة رأى ان قولهُ في قصيدتهِ الشهيرة مرآة نفسهِ واخلاقهِ وكفاهُ فخراً قولهُ منها

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضهُ　　فكلّ ردآء يرتديهِ جميلُ
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها　　فليس الى حسن الثنآء سبيلُ

وايّ ضيم اشدّ من قتل ولدهِ بمرأى منهُ ومسمع وهو لم يخاف وعدهُ

ومنهم معن بن زائدة الشيباني من اجواد العرب وهو القائل

دعيني انهب الاموال حتى … اعفَّ الأكرمين عن اللئامِ

ومن قرأ حادثة البيت من الشعر الذي كتبهُ الشاعر على خشبة وطرحهُ في القناة التي كان جالساً بجانبها تعجب من كرمهِ وبسط يدهِ في العطآء حتى ان ذلك الشاعر لو لم يسئ الظن بهِ لاستنزف مال معن من درهم ودينار

ومنهم حاتم الطائي الذي وصفهُ ابن الاعرابي بقولهِ « انهُ كان جواداً يشبه جودهُ شعرهُ ويصدّق قولهُ فعلهُ » وشعرهُ كلّهُ حثٌّ على الكرم فمنهُ قولهُ يخاطب امرأتهُ

اذا ما منعت الزاد فالتمسي لهُ … اكيلاً فاني لستُ آكلهُ وحدي

فاني لَعبد الضيف ما دام ثاوياً … وما فيَّ الاَّ تلك من شيمة العبدِ

ولم يكن حاتم يمسك شيئاً ما عدا فرسهُ وسلاحهُ فانهُ كان لا يجود بهما ولكنهُ جاد بفرسهِ في سنة مجدبة

ومنهم الحطيئة الهجّـآء الذي طاف الحيّ ليجد من يهجوهُ بعد ان هجا اهل منزلهِ ولما لم يجد احداً رأى وجههُ في بركة مآء فهجاهُ ببيت مشهور

ومنهم محمد بن الجهم من رؤسآء البخلآء قال لمن طلب منهُ علامة استثقالهِ لمجالسيهِ ان علامة ذلك قولي « يا غلام هات الغدآء ». ومن قولهِ الدالّ على بخلهِ « منعُ الجميع ارضى للجميع »

ومنهم ابرهيم بن ادهم العجلي البلخيّ كان مضرب المثل في الزهد فلما قيل لهُ لِمَ تجتنب الناس انشأ يقول

ارضَ بالله صاحبا … وذر الناس جانبا

ومنهم عنترة المشهور بكثير من الصفات الحسنة تجد في معلّقتهِ وديوانهِ

أثر اخلاقهِ ولا سيما في البسالة فانهُ هو القائل وليس ورآء ذلك مذهب لشجاع أو حازم

ان المنيَّة لو تمثَّل شخصها لي في العجاج طعنتها في الأولِ
واذا حملت على الكريهة لم اقل بعد الكريهة ليتني لم أفعلِ

ومنهم ابو فراس الحمداني ابن عم ناصر الدولة وسيف الدولة الحمدانيين اشتهر بشجاعتهِ وطيب اعراقهِ وجميل خلالهِ وهو القائل في قصيدتهِ الشهيرة

أراكَ عصيَّ الدمع شيمتك الصبرُ أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمرُ
فأصدأ حتى ترتوي البيض والقنا واسغب حتى يشبع الذئب والنسرُ
وما حاجتي بالمال أبغي وفورهُ اذا لم يَفِرْ عرضي فلا وَفَرَ الوَفْرُ
هو الموت فاختَرْ ما علالك ذكرُهُ ولم يمت الانسان ما حييَ الذكرُ

ومنهم حميد الأرقط هجَّاء الاضياف المبخَّل يقول واصفاً اكل ضيفهِ

ما بين لقمتهِ الأولى اذا انحدرت وبينَ اخرى تليها قِيدُ أظفورِ

ويقول في محل آخر

تجهّزُ كفَّاهُ ويحدر حلقهُ الى الزَور ما ضُمَّت عليهِ الاناملُ

وليس وراء هجاء الضيف مزيدٌ على شدة البخل لأن الاعراب يفتخرون بقرى الاضياف

ومنهم أبو العلاء المعرّي فيلسوف الشعر المشهور بتواضعهِ يقول

دُعيتُ أبا العلاء وذاك مَينٌ ولكنَّ الصحيح ابو النزولِ

ومنهم ابن هرمة المشهور بادمانهِ الخمرة يقول

أسأل الله سكرةً قبل موتي وصياح الصبيان يا سكرانُ

ومنهم ابرهيم الرقّي وابن السماك العِجلي المشهوران بزهدهما كان كلّ كلامهما في الزهد فكأنهُ ذوب صفاتهما ومن كلام ابن السمّاك «من جرّعتهُ الدنيا حلاوتها بميلها اليهِ جرّعتهُ الآخرة مرارتها بتجافيها عنهُ»

ومنهم ابن بسَّام حُطيئة عصرهِ الذي لم يسلم احد من لسانهِ هجا والدهُ بقولهِ

هبكَ عُمّرتَ عمرعشرين نسراً　　أترى انني اموت وتبقى
فلئن عشتُ بعد موتك يوماً　　لأشقّنَّ جيب مالك شقّاً

ومنهم ابن ابي رندقة الطرطوشي الاندلسي صاحب كتاب سراج الملوك وهو جالسٌ في مخدعهِ زاهداً متورّعاً يقول

اعمل لمعادك يا رجلُ　　فالناس لدنياهم عملوا
واذخر لمسيرك زاد تقًى　　فالقوم بلا زادٍ رحلوا

(ستأتي البقية)

الكليّة الشرقيّة

ما برحت هذه المدرسة آخذةً في الترقي والاتساع سنةً عن سنة كما دلّ على ذلك ما جآء في كتابها السنويّ الذي صدر في اواخر شهر يوليو من السنة الحاليّة وهو ختام سنتها السادسة . ولا غرو فيما بلغت اليهِ من النجاح الباهر في هذه السنوات القليلة مع ما اشتهر من غيرة واهتمام حضرة رئيسها الألمعيّ الخوزي بولس الكفوري وما وقف عليها من المثابرة والدأب في التماس كل ما يأول الى جعلها مورداً لطلاّب العلم من جميع آفاق الشرق

ومع ما يبذلهُ حضرات اساتذتها الافاضل من الجهد في صحّة التدريس واجرآئهِ على ما يقتضي من الدقّة والاخلاص في توخّي الفائدة على اتمّ وجوهها وذلك فضلاً عما هو معلوم من حسن موقعها الصحّي مما سبق وصفهُ في هذه المجلة بما يغني عن اعادتهِ في هذا الموضع

والمدرسة تشتمل حالاً على ثلاث دوائر للتعليم وهي الابتدآئية والاعدادية والعلمية ومدة التدريس في الاولى منها سنتان وفي الثانية ثلاث سنوات وفي الثالثة اربع

اما الدروس التي تُتلقَّى في هذه الدوائر فهي من اللغات العربية والتركية والفرنسوية والانكليزية بآدابها وفروعها مع الانشآء والترجمة من هذه اللغات واليها . ثم الطليانية واليونانية واللاتينية والعبرانية لمن يطلبها . ومن العلوم الرياضيات بانواعها من الحساب والجبر والهندسة والمساحة وما يتصل بها وعلم الحقوق والموسيقى والرسم والتصوير والجغرافية والتاريخ والاقتصاد والهيئة والكيميآء والطبيعيات والحيوان والنبات وطبقات الارض والفلسفة الادبية والعقلية

وفي المدرسة مكتبة حافلة تشتمل على كثير من الكتب والمعجمات والمجلات والجرائد العلمية والادبية والتاريخية في العربية والتركية والفرنسوية والانكليزية ومعرض يحتوي على كثير من الامثلة البديعة للمعادن والانبتة والحيوانات والاثريّات وغيرها

وفيها جمعية علمية تُعقَد من متقدمي تلامذتها يُتمرَّن فيها على الخطابة والالقآء والمناظرة في المسائل العلمية والادبية واللغوية والتاريخية وهي تعقد

جلساتها مرةً في كل خمسة عشر يوماً بحضرة رئيس المدرسة ورئيس الجمعية والاساتذة والادبآء وتُلقَى فيها الخُطَب والمباحثات

وقد جآء في لائحة المدرسة انها تنوي احداث ثلاث دوائر أُخر للزراعة والتجارة والصناعة . واذا وُجِد من يطلب الاستعداد للطب او الصيدلة او التجارة في اللغة التركية فهي تكفل لهُ ذلك بشرط ان يكون الطالبون لهُ من خمسة فما فوق

ومما لا بدّ من ذكرهِ هنا ان المدرسة لا تتعرض لمذهبٍ من المذاهب فهي تقبل الطلاب من جميع الطوائف على السوآء وتخرّج الجميع في الفضائل والعلوم وتبثّ فيهم روح الأُلفة والوطنية . وقد ندبت في هذه السنة احد علمآء الاسرائيليين لتدريس اللغة العبرانية لابنآء هذه الطائفة وتلقينهم التعليم الديني وكفى بهذا دليلاً على صحة وطنيتها وعدم تحيزها الى فريق دون فريق

اما المرتّب السنوي فهو اثنتا عشرة ليرة عثمانية فقط في مقابلة التعليم والطعام وما يتبع ذلك من الخِدَم المدرسية وهي ولا ريب من اقلّ ما يُدفع في سائر المدارس

فنحن نكرر ثنآءنا على منشئي هذه المدرسة من رجال الرهبانية الباسيلية الكريمة لما سمت اليه هِمَمهم من هذه النهضة الشريفة وما يبذلون في هذا السبيل من المال والسعي خدمةً للعلم والوطن ونسأل الله ان يأخذ بايديهم للبلوغ الى غاية ما يقصدون من هذه المأثرة الكريمة والمبرّة العميمة كما نحضّ اهل الوطن العربيّ في القطرين الشامي والمصري ان يقبلوا

على هذه المدرسة بابنآئهم واثقين بانهم سيخرجون منها وهم اهل علمٍ صحيح وتهذيبٍ كامل وأعوان صدقٍ للوطن والوطنيّة وفي يقيننا ان الحكومة السنيّة في ذلك الجانب ستوجّه التفاتها الى هذا المعهد العلمي القائم بتربية الناشئين على ما تقتضيهِ مصلحتها ومصلحة البلاد واخراجهم رعايا امنآء يخدمون الدولة والوطن بتمام الصدق والاخلاص والله وليّ التوفيق

اختفآء سرّي

وردتنا تحت هذا العنوان الرسالة الآتية فأثبتناها بحروفها

جآء في احدى الجرائد الفرنسوية التي تُطبَع في هذا القطر تحت العنوان المذكور ما تعريبهُ

« ذكرنا امس ان سرّ اختفآء المسيو توفيق قزح المترجم في المحكمة المختلطة لا بد ان يسفر عن قصد دخولهِ في الرهبانية فانهُ منذ كان في الرابعة عشرة من العمر عزم على هذا الامر لكن والدهُ مانعهُ ممانعة شديدة . غير ان الفتى ما برح مذ ذاك يكثر من مخالطة الرهبان حتى انه في هذه الايام دُفِع بعامل وحي لا يُقهَر الى الدخول في احدى الرهبانيات ويقولون الآن انهُ بعد ان قبض راتبهُ يوم السبت (١ اكتوبر) ذهب الى منزلهِ فاعطى والدتهُ مبلغاً منهُ ثم خرج من دون ان يطلع احداً على قصدهِ فجآء المحطة وسافر الى الاسكندرية وهناك ركب في الباخرة كليو بطرا احدى بواخر الشركة النمساوية قاصداً فنيسيا ومنها يصل الى كراكوفيا حيث يوجد دير للابتدآء يخص طغمة الجزويت » .....

ولقد اسفت عند قرآءة هذا النبأ لامرين اولهما اني اعرف المذكور من زمن طويل واعلم ان لهُ امًّا ارملة واختاً غير متزوجة لاعائل لهما سواهُ فتركهما في حالةٍ يرقّ لها كل قلب صخري ما خلا قلوب جماعةٍ لا يهمهم الا تكثير اعوانهم مهما نشأ ورآء ذلك من الشرّ . . . والثاني علمي بانهُ لم يختر الرهبانية الا باغرآء اولئك الآبآء على ما اشتهر من عادتهم وقد كنت اتوقع لهُ ذلك من ايام وجودهِ في مدرستهم لانهم من ذلك الحين كانوا يدورون من حولهِ ويزينون لهُ الدخول في سلكهم كما كانوا يزينون لي وكما تؤيدهُ رواية الجريدة المذكورة . وبلغني انهُ بعد دخولهِ في خدمة الحكومة كان لا يخلو يوم من زيارة احدهم لهُ او من زيارتهِ لهم في ديرهم الى ان اخذوهُ في حبالتهم . على ان هذه ليست اول مرةٍ حدث فيها مثل هذا من اولئك الذين يسمُّون انفسهم مهذبي الشبيبة ولا اعيد على القرآء ما لا يزالون يذكرونهُ من حديث الشاب الذي اختطفوهُ من عهد قريب وأُرغموا على ردّهِ . ولكي يكون اهل التلامذة على بيّنة كاملة مما يفعل اولئك الآبآء اعرّب لهم الفصل الذي يتعلق بذلك من كتاب « تعاليم الجزويت السرّية[1] » وهو هذا مترجماً بالحرف

« الفصل الثالث عشر

في الطرق المؤدية الى اختيار الشبان وقبولهم في الجمعية وكيفية اكتسابهم

١ً يجب العمل بغاية الحزم والتروّي لاختيار شبان من اصحآء العقل

---

(١) جآء في مقدمة هذا الكتاب ما تعريبه «يجب الحذر الشديد من وقوع هذه التعاليم في ايدي الاجانب لانها تؤدي الى سوء اعتقادهم بنا وان حدث ذلك

والبنية ومن اولاد الاشراف او على الاقلّ من الذين حازوا احدى هاتين الصفتين

٢ً لتسهيل استمالتهم الى جمعيتنا يجب على رؤساء المدارس والمعلمين ان يظهروا لهم محبتهم الخصوصية في غضون التعليم وفي خارج وقت المدرسة ويقنعوهم بعظم مسرّة الله ممن يخصص نفسهُ وكل ما يملكهُ لهُ وخصوصاً اذا كان منتظماً في جمعية ابنهِ (يسوع)

٣ً عند سنوح الفُرَص يجب ان يُستصحَبوا في المدرسة أو في الحديقة أو في التنزهات الخصوصية وان يكونوا مع جماعتنا في اوقات الرياضة والراحة بحيث يمكّنون الالفة بينهم وبينهم بالتدريج لكن يحترزون من ان تؤدّي هذه الألفة الى الاستخفاف

٤ً يجب على جماعتنا ان يجتنبوا معاقبتهم اذا اذنبوا ولا ينزلوهم في الذي يفرضونهُ عليهم منزلة غيرهم من بقية التلاميذ

٥ً ليملكوا قلوبهم بهدايا صغيرة وامتيازات تناسب سنّهم وليجعلوا محادثتهم لهم في الامور الروحية ترغيباً لهم

٦ً ليطبعوا في قلوبهم انهم لم يُختاروا دون سواهم من بين سائر الذين يتردّدون على المدرسة نفسها الاَّ لان هناك عنايةً الهية خاصةً بهم

٧ً عند سنوح فُرَص اخرى ولا سيما في وقت القاء النصائح والارشاد يجب ان يخوّفوهم بالهلاك الابدي اذا لم يخضعوا للدعوة الالهية

٨ً اذا الحّوا في طلب الانتظام في الجمعية فليؤجّل قبولهم ما داموا على

(لا سمح الله) فلننكر ان تكون هذه اغراض الجمعية . . . . .

ذلك الالحاح واذا ظهر منهم تغيُّر عن عزمهم يبادَر الى تلافيهم بكل نوع من وجوه الملاطفة

٩ً يجب ان يحذَّروا تحذيراً مشدَّداً من ان يكاشفوا احداً من اصدقآئهم حتى آبآءهم وامهاتهم بما عزموا عليه قبل ان يتم قبولهم في الجمعية . وانهُ اذا سوّلت لهم انفسهم العدول عن عزمهم فلهم ولرجال الجمعية ان يفعلوا ما شآءوا (؟) . واذا اتفق لهم مثل ذلك بعد الابتدآء او بعد ان ينذروا نذوراً بسيطة وامكن التغلب عليهِ ينبغي ان لا تُترَك فرصةٌ لتنشيط عزمهم بتذكيرهم ما سبق من وعودهم

١٠ً لما كانت الصعوبة العظمى في استمالة ابناء الكبرآء والاشراف واعضآء مجلس الشيوخ لانهم يكونون في حجور آبآئهم وهم يربونهم بقصد ان يخلفوهم في وظائفهم وجب ان يتخذ السبيل لاقناعهم بواسطة اناس من اصدقآئهم لا من رجال الجمعية بان يطلبوا من آبائهم ان يرسلوهم الى اقاليم اخرى او الى مدارس بعيدة من التي يعلّم فيها اناس من جماعتنا. وذلك بعد ان تُرسَل الى اولئك المعلمين الافادات التي تعرّفهم صفات اولئك التلاميذ ودرجتهم لكي يعلموا كيف يكتسبون مودّتهم وميلهم الى الجمعية من اقرب السُبُل واوكدها

١١ ومتى تقدموا شيئاً في السن ينبغي ان يمرّنوهم على بعض الاعمال الروحية فان هذه الواسطة قد افادت كثيراً بين الالمان والپولونيين

١٢ من واجباتهم ايضاً ان يسلُّوهم في همومهم واحزانهم على ما تستدعيهِ حالة كلٍ منهم ودرجتهُ وان يسردوا عليهم في تلك الحال مواعظ

وارشادات يحذرونهم بها من سوء استخدام الاموال ومن الإعراض عن سعادة الدعوة الالهية التي من استخفّ بها كان جزآؤهُ العذابات الجهنمية

١٣ وعلى رجالنا لكي يستميلوا الآبآء والامهات الى موافقة ابنآئهم على دخول جمعيتنا ان يَصِفوا لهم سموّ منزلتها بالنسبة الى بقيّة الرهبانيات وصلاح اعضآئها وعلمهم وشهرتهم الطائرة في جميع انحآء المعمور وما لهم من رفعة المقام والاعجاب في نفوس جميع البشر من كبير وصغير . وليعدّدوا لهم الامرآء والكبرآء الذين عاشوا في هذه الجمعية وهم على تمام الارتياح سوآء كانوا من الذين ماتوا فيها او الذين لا يزالون على قيد الحياة . ثم ليذكروا لهم مقدار مسرّة الله بالشبان الذين يخصصون انفسهم لهُ ولا سيما في جمعية ابنهِ وانهُ لا أفضل من ان يحمل الرجل نير السيّد (لهُ المجد) وهو في سنّ الشباب . واذا احتجّ الاب والام بحداثة ولدهما فليشرحوا لهما سهولة قوانين جمعيتنا وانهُ ليس هناك امرٌ يصعب احتمالهُ ما خلا المحافظة على النذور الثلاثة . وفوق ذلك كلهِ فانهُ ليس شيءٌ من تلك القوانين اذا خُولِف يُحكَم على مخالفهِ بانهُ قد اقترف خطيئةً ولو عرَضية » انتهى

احد المتخرجين في مدارس الجزويت
بالقطر المصري

الاسئلة والآثار الادبية في الجزء الآتي ان شآء الله

فكاهات

الكولونيل جيرار(١)

— ١ —

كان بين كتائب الجنود الفرنسوية على عهد نابوليون الاول كتيبة من الفرسان تدعى « الهوسار » وكان يقود هذه الكتيبة فتى من اشجع الابطال لا يهاب الموت ولا تروعهُ المهالك يقال لهُ الكولونيل جيرار وقد رافق نابوليون في اكثر غزواتهِ وكان لهُ في كل محل وطئنهُ قدماهُ حادثٌ ذو بال . فلما انقضت الدولة البونابرتية استقال جيرار وكان قد اصبح ذا ثروةٍ صالحةٍ فعزم ان يستريح ما بقي لهُ من العمر بعد التعب الذي قاساهُ في اثنآء خدمتهِ تحت امرة ذلك الامبراطور الذي لم يكن يستريح ولا يريح

وجمع الاتفاق ذات يوم الكولونيل جيرار ببعض ضباط الجيش في احد الاندية فدعوهُ لتعاطي شيء من الشراب ولما جلس احاطوا بهِ احاطة الهالة بالكوكب وطلبوا منهُ ان يقصّ عليهم شيئاً من اخبارهِ الشخصية . وانتبه احدهم الى ان اذنهُ اليمنى كانت مقطوعة فسألهُ عن ذلك . فتبسم جيرار تبسم الكبر والخيلآء وكأنهُ تمثل امامهُ الاخطار التي خاض غمارها ونجا منها فأُعجب ببسالتهِ وشعر في نفسهِ انهُ اشدّ بسالةً من سامعيهِ ففتل شاربيهِ وتصدَّر على كرسيهِ ثم تناول كأساً من الخمر فجرعها مرةً واحدة واجال نظرهُ في وجوه الضباط المحيطين بهِ وبدأ يقص عليهم احدى الحوادث التي اتفقت لهُ فقال

يصعب عليَّ ايها الاخوان ان اعدد لكم المدن التي زرتها او مررت فيها ولا سيما التي دخلتها دخول المنتصر في مقدمة ثماني مئة فارس يجرون على اثري كأَنهم ابالسة الجحيم . وكنا اذا تقدم جيشنا سارت الفرسان في طليعة الجيش العام وسارت

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

فرقتي في طليعة الفرسان وسرت انا في طليعة فرقتي فكنت اكون الاول في دخول البلاد والاطلاع على احوالها . ولم يتفق لي ما سآءني من جميع المدن التي زرتها كما استأت من مدينة البندقية (ڤينيسيا) بايطاليا وهي كما تعلمون مبنية على المآء ولذلك لم يسعني ان ادخلها بالفرسان الذين معي فاضطررنا عند دخولها ان تركنا معظم الجيش في كلرمون مع المدفعية وفرسان الهوسار وذهب اليها القائد سوشاي فقط بعساكره المشاة وانتدبني مساعداً لهُ وقد عزم ان يشتو بجيشهِ في تلك المدينة وفيها اصابتني الحادثة التي اقصها عليكم الآن

فلما دخلنا المدينة الفيتها مأوًى لاناس كالاسماك لا يعيشون الا في المياه . اما ابنيتها ففخيمة جدًّا ولا سيما كنائسها واعظمها كنيسة القديس مرقس التي لم ارَ في جميع سفراتي ما يضاهيها في العظمة والزخرفة والهندسة . ولقد أُعجبت جدًّا بما رأيتهُ في هذه المدينة من بدائع النقوش والصور بيد أني لم اقف عند معرفة اهمية الصور فقط بل عرفت مصوّريها ايضاً . وقد شابهني في حسن الذوق نابوليون نفسهُ لانهُ حالما استولى على المدينة اختار عدةً من صورها البديعة فارسلها الى باريس وفعل فعلهُ كثيرٌ منا . وكانت قسمتي صورتين اخترتهما احداهما صورة العذارى المبغوتات والاخرى صورة القديسة بربارة . ولا انكر ان بعض رجالنا قد اسآءوا بان شوهوا التماثيل ومزقوا الصور فغاظوا بذلك الشعب الذي كان تعلقهُ شديداً بهذه التحف

وكان امام الكنيسة الكبرى دكة عليها تمثال قائم على اربعة من الجياد بديعة الصنعة وهذه ايضاً انزلها جنودنا وارسلوها الى فرنسا فاشتدَّ ذلك على الشعب وبكوا اسفاً وحزناً . ولما كان اليوم الثاني عشر من دخولنا المدينة وجدنا جثثاً من رجالنا طافية على وجه المياه انتقاماً وتشفياً فهاج ذلك غيظ الجنود وعمدوا الى تشويه جميع التماثيل وانزال الصور وتكسير الزجاج الملون الذي تزين بهِ البيوت فازداد بذلك حنق الشعب فكانوا يترصدون الفرص للانتقام من الجنود حيثما استفردوهم وفي اي وقت اتفق لهم الظفر بهم

اما انا فكنت في شاغل عن ذلك لاهتمامي بامور اخرى وكان من طبعي اني

اية بلدة دخلتها اسعى في تعلم لغتها وكنت لهذا السبب ابحث دائماً عن فتاة تروق لي عشرتها فاصرف وقتي معها واتعلم كلامها . لان الاختبار دلني على ان هذه الطريقة هي افضل طريقة لتعلُّم اللغات فما بلغت الثلاثين من عمري حتى كنت اتكلم بجميع لغات اوربا تقريباً

وقد وُفقت في البندقية الى وجود معلمة تدعى لوسيا كنت اجالسها واقتبس من كلامها وهي من اسرة شريفة وقد كان جدها دوج المدينة اي رئيس جمهوريتها . اما جمالها فكان رائعاً ومتى قلت عن الجمال انهُ رائع ينبغي ان تعلموا ما اعني اي انهُ لا يفوقهُ جمال . ومن جميع الفتيات اللواتي عرفتهنَّ لم يكن اكثر من عشرين واحدة يمكنني ان اطلق عليها هذا الوصف . وكان سبب معرفتي بها انهُ كان في بيت ابيها عددٌ وافر من الصور البديعة فامر القائد سوشاي بعض رجالهِ ان يأتوهُ بها واتفق ان دخلتُ ذلك القصر فوجدت الجنود يحاولون نزع الصور ورأيت لوسيا ووالديها واقفين يبكون فاثر فيَّ ذلك المنظر وزجرت الجنود عن فعلهم فلم يستطيعوا مخالفة اوامري وخرجوا من القصر بدون ان يأخذوا شيئاً . فشكرني على ذلك الفتاة ووالداها شكراً عظيماً وتمكنت بيننا بعد ذلك صلة الصداقة فاتخذت الفتاة مدرّسةً لي حسب عوائدي واحبتني جدًّا كما احببتها . وكنت اودّ ان اتخذها زوجة كما فعل كثيرون غيري من الضباط ولكن لا يخفى عليكم ان مخاطبكم كان يرى بعينهِ النقادة ما امامهُ من الاسفار والحروب وكان يعلم ان قلبهُ انما خُلق ليحب لا ليتزوج وكيف يمكنني الزواج وانا اعشق سيفي وحصاني وكتيبتي وامبراطوري فضلاً عن حب والدتي التي عليَّ ان اعولها واهتم بها

ذكرت لكم ان القائد سوشاي اختار البندقية لمشتاهُ واختار قصر الدوج دندولو لسكناهُ مدة ذلك الفصل ولما كنت مساعدهُ كان يتعين عليَّ السكنى معهُ . فاتفق لي ليلةً ان حضرت في محل تشخيص مشهور وعدت الى القصر عند منتصف الليل فلم اكد ابلغهُ حتى تصدى لي فتىً دفع اليَّ كتاباً من حبيبتي لوسيا ورأيت قارباً ينتظرني ففتحت الكتاب واذا بهِ من لوسيا تقول فيهِ « انني في خطر عظيم واطلب

حضورك في الحال » . وتعلمون ايها الاخوان ان الرجل الفرنسوي ليس عندهُ لمثل هذه الدعوة الا جوابٌ واحد فلم اكد اتم تلاوة الكتاب حتى صرت في وسط القارب ودفعهُ الملاح عن الشاطئ فسار بنا في ظلمة تلك القناة . ولما جلست على المقعد الخشبي تأملت في الملاح فالفيتهُ رجلاً طويل القامة واسع الصدر شرس الهيئة خبيث المنظر فكأ نهُ لم يبالِ بي فجلس ورآئي وجعل يجذف بمنتهى قوتهِ

وكان من طبعي الاحتراس في أية بلدةٍ غريبة دخلتها غير انني في تلك الليلة لم اكترث بشيء ولم يكن خنجري ولا غدارتي معي بل لم يكن معي من السلاح سوى سيفي الذي لم يفارقني قط . ومع ذلك فقد كنت غير مهتم بشيء بل وليت الملاّح ظهري وانا أتوقع الوصول الى الحبيبة لوسيا واغاثتها من الخطر الذي هي فيهِ . وكانت طريقنا في قناة مظلمة لا ينيرها الا ما ينفذ من مصابيح بعض البيوت وكان اكثرها ضعيفاً صادراً عن الانوار الزيتية التي يوقدونها امام صور القديسين . وكانت الوحدة وصوت المياه يستدعيان الافتكار فطارت بي افكاري الى ماضي حياتي وما مرّ بي من الاهوال والعبر ثم انتقلت الى مناجاة والدتي وتصور سرورها عند ما يبلغها خبر انتصار ولدها وشجاعتهِ ثم انتقلت بتصوراتي الى امبراطورنا العزيز والوطن المحبوب وما عسانا ان نكسبهُ لهُ من الفخر والسؤدد . واني لكذلك واذا بصدمة عنيفة اصابتني فاضاعت جميع افكاري وظننت لاول وهلة ان الملاح قد عثر فسقط عليّ عن غير قصد ولكنني ما عتمت ان ادركت الحقيقة وهي انهُ كان ينوي مباغتتي لانهُ ترك مجذافهُ بسرعة البرق وانقضَّ عليّ بجسمهِ الثقيل الكبير فالقاني صريعاً وقبل ان املك روعي كان قد انتزع سيفي عن جانبي وادخل في فمي منديلاً كبيراً ثم ادخل رأسي في كيسٍ من نسيج صفيق ربطهُ عند صدري واوثق يديّ ورجليّ وطرحني الى قعر القارب كاحدى رزم البضاعة التي لا صوت لها ولا حركة . وفي الدقيقة الثانية شعرت انهُ عاد الى تجذيفهِ كالاول غير مهتم بما فعل . ولا تسألوا عن غيظي وضيق نفسي في تلك الحالة لانهُ لم يخطر لي قط ان الكولونيل جيرار الشجاع المشهور يتغلب عليهِ فلاح طلياني بهذه الصفة ويتركهُ اسيراً فاقد الارادة والقوة كأ نهُ

صندوق بضاعة او قطعة من النسيج . وكنت اعلم من صوت حركة المياه امام القارب وصياح الملاح منبهاً اصحابهُ اننا نسير في جهات مختلفة فتارة الى اليمين وتارة الى الشمال الى ان وقف القارب وسمعت الملاح يقرع بمجذافهِ ثلاثاً على بابٍ حديدي فُتح لهُ للحال وسمعت صوتاً يقول لهُ بالطليانية « هل تمكنت من احضارهِ » فقهقه الملاح ضاحكاً ورفسني برجلهِ وقال ها هو . ولما قال هذا رفعني بيديهِ القويتين ونزل بي سلماً صغيراً ثم طرحني الى ارض يابسة وللحال سمعت صرير الباب الحديدي فعلمت اني اصبحت اسيراً في بيتٍ لا ادري ما هو ولا من يحكم فيهِ . وافادني ما تعلمتهُ من اللغة الطليانية لانني سمعت صوتاً يخاطب الملاح بها قائلاً هل قتلتهُ يا ماتيو . فقال آسري وأي ضرر ينتج من ذلك لو فعلت . فقال الاول ولكنهم ينتظرونهُ على احرّ من الجمر . فاجابهُ ماتيو ان غايتهم اهلاكهُ فهم ولا شك يسرون لو دروا بموتهِ قبل ان يلطخوا ايديهم بدمهِ . فقال الاول اني اراهُ لا حراك لهُ فلا شك انك اعدمتهُ الحياة يا ماتيو . فقال الملاح اذا كنت في ريب من كلامي فانظر . ولما قال هذا نزع الكيس الذي كان يغطي رأسي ووضع يدهُ على صدري ليجس ضربات قلبي . وفتحت عينيّ قليلاً لارى الرجال المحيطين بي فوجدت الملاح ماتيو على ما وصفتهُ من الخشونة والفظاظة وحولهُ ثلاثة من الرجال يشبهونهُ في الخلق والتركيب وادركت ان احدهم وكيل المنزل الذي صرت اليهِ او السجان ان شئتم الحقيقة . فلما رأيتهم ندمت ندماً عظيماً لعدم احضاري خنجري معي ولو فعلت لاستطعت اقتحامهم جميعاً والتخلص من بينهم . وكأن السجان شعر مني بتلك الحركة فرفسني برجلهِ وامرني ان اقف امامهم فامتثلت للحال . ولم اكد اقف على رجليّ حتى سولت لي نفسي الفرار فوثبت وثبةً واحدة اوصلتني الى طرف الغرفة وما رأى ذلك الرجال حتى عدوا في اثري ووجدت امامي باباً فرفستهُ برجلي فانفتح وولجت منهُ فتبعوني وما زلت اثب من غرفة الى اخرى وهم يجدّون في لحاقي حتى قار بني الملاح وخنجرهُ في يدهِ فرفستهُ في بطنهِ فألقيتهُ ممدداً في وسط الغرفة وسقط الخنجر من يدهِ ولكني لم استطع ان اتناولهُ لان الباقين كانوا قد اقتربوا

مني . فتوجهت الى الباب الخارجي وما كدت اضع يدي على زلاجهِ حتى انفتح فصحت مسروراً مستبشراً بالنجاة ولكنني رأيت للحال ما جعلني ألعن تلك المدينة و بانيها لانهُ كما اسلفت كل بيت من بيوتها جزيرة صغيرة تحيط بها المياه من جميع الجهات . وكان ذلك الباب يوصل الى قناة من المياه عميقة مظلمة ولم اكن احسن السباحة فرجعت مخترقاً لي طريقاً وسط مهاجميَّ وما زلت اعدو الى ان بلغت باباً آخر فتحتهُ فوجدت نفسي في ردهة فسيحة،مضآءة بالانوار مكتظة بالرجال المسلحين بالخناجر والحراب واقفين كأن على رؤوسهم الطير امام منصةٍ قد جلس عليها اثنا عشر شخصاً لم استطع تمييز واحد منهم لانهم كانوا مرتدين جباباً سوداء وعلى وجه كل واحد منهم نقاب اسود لا يظهر منهُ الا عيون براقة تشتعل فيها نيران الغيظ والانتقام

ورأيت امام المنصة وبين اولئك الاشقياء فتىً فرنسوياً عرفتهُ للحال انهُ الملازم اورياي ولم يحجبهُ عني ما كان عليهِ من امتقاع لونهِ وهيئة الارتعاد المرسومة على وجههِ . ولا اقدر ان اصف لكم هيئة الامل التي ظهرت عليهِ بغتةً عند دخولي ولا امارات اليأس التي عقبتها عند ما رأى ان قدومي كان لاشاركهُ في حتفهِ لا لانقذهُ منهُ . وقرأت بلحظة واحدة علامات الاستغراب على اوجه الجميع لدى دخولي الفجآئي ومع ان ثيابي كانت ممزقة وشعري كان مشعثاً والدم يسيل من رأسي وذراعيَّ بسبب محاولتي الفرار فانهُ كان في عينيَّ نظرٌ وفي قامتي استوآء جعلاهم يتحققون ان جيرار الداخل عليهم ليس من سوقة القوم الجبناء . فتقدمت بثبات جأش الى امام المنبر ونظرت الى احد الاثني عشر وقد علمت من مركزهِ انهُ رئيس الجلسة فقلت لهُ لعل في امكانك يامولاي ان تخبرني ماهو السبب الذي اوجب القآء القبض عليَّ واحضاري الى هذا المكان . على اني اعلمك اني رجل شريف نظير هذا الرفيق الواقف امامكم واطلب ان تطلقوا سراحنا للحال . فكان جواب كلامي سكوتاً عميقاً برقت فيهِ اعين الرجال تحت البراقع التي تستر وجوههم و بعد هنيهة قال الرجل الذي خاطبتهُ بصوت اجش من يكون هذا الرجل . فاجابهُ الملاح ماتيو وكان قد

تبعني الى باب الردهة هذا هو الكولونيل جيرار يا مولاي

فساد سكوت آخر مدةً ثم نظر الرجل الى ورقة كانت امامهُ وقال لم تجئ نوبتهُ بعد فان امامهُ اثنين قبلهُ فارجعوهُ محفوظاً الى السجن . فقال ماتيو واذا قاومنا كما فعل الآن . قال اغمدوا خناجركم في جسمهِ . ولما قال هذا تقدم ماتيو ورفاقهُ فاخذوني الى خارج الغرفة وحملوني وماتيو بجانبي شاهراً خنجرهُ وهو يود ان يرويهُ من دمي الى ان اوصلوني الى غرفةٍ فتحوا بابها ودفعوني اليها ثم اغلقوا الباب وتركوني في ظلام دامس . ولما كانت النفس عزيزة على صاحبها لم استسلم للقضاء بل جعلت ابحث عن طريقة اتمكن بها من النجاة فابتدأت بفحص سجني فوجدتهُ مبنيًا بالحجر من جهاتهِ الثلاث اما الجهة الرابعة فكانت فاصلاً خشبيًّا أُقيم ليقسم غرفة سجني الى سجنين . و بعد البحث وجدت ان لا امل لي في الخلاص من الجهات الحجرية وانني لو خرقت الحاجز الخشبي لوصلت الى سجن آخر نظير سجني وان لا فائدة لي من هذه التجارب . غير اني فضلت العمل على السكون فجعلت اختبر الالواح الخشبية حتى عثرت على اثنين منها غير متينين تمكنت من ادخال يدي تحت احدهما واعملت فيهِ قوتي فتمكنت من رفعهِ ولم اكد انزعهُ تماماً حتى سمعت وقع اقدام تتراكض خارج حجرتي كأن جمعاً يدفعون رجلاً بالرغم عنهُ وهو يجاهد في التخلص منهم . فلما بلغوا حجرتي سمعت صوتاً يقول اليَّ يا جيرار فعلمت انهُ الملازم اورياي يقودونهُ الى الهلاك فهاج الدم في رأسي وأسرعت الى باب حجرتي ودفعتهُ بعنفٍ شديد فلم تؤثر فيهِ قوتي وللحال سمعت صوت تأوهٍ وشبه طعنات تلاها سقوط جسم الى المياه ثم سكن الضوضآء فعلمت انهُ قد قُضي على المسكين . ثم سمعت خطوات الجنود راجعة امام حجرتي ففتحوا الحجرة الملاصقة لي واخذوا منها شخصاً وصعدوا بهِ . فلما ابتعدت خطواتهم عدت الى معالجة الالواح الخشبية فرفعتها ودخلت الى الغرفة الثانية فوجدتها كما افتكرت قسماً ثانياً من سجني ولم اجد فيها شيئاً يدل على معرفة الذي كان رفيقي في الاسر ولا ما يفتح لي باب امل في النجاة فعدت الى حجرتي واعدت الالواح الى اماكنها ولبثت انتظر دعوتي لتجرع كاس الموت

وبعد ساعةٍ خلتها عاماً سمعت رجوع الجنود وتوقعت مشهداً آخر كالسابق لكنهم في هذه المرة عادوا بهدوء فارجعوا الاسير الى غرفتهِ بسكون وقبل ان اتمكن من رفع الالواح لارى من هو فُتح باب غرفتي وسمعت الملاّح مانيو يناديني ويقول تعالَ ايها الفرنسوي . ورأيت ان لا فائدة من المقاومة فتبعتهُ الى ان اوصلوني الى ردهة القضاء فدخلتها بجسارة ولسان حالي يقول

واذا لم يكن من الموت بدٌّ　　فمن العجز ان تكون جبانا

ولكنني وجدت القضاة في مباحثة مع واحد منهم وسمعت الرئيس يقول لهُ تنحَّ ايها الاخ فقد صدر الحكم ولابد من تنفيذهِ ، فقال الاخ رحماك يا مولاي اسمح لي ان اطلب رحمتك هذه المرة فقط . فقال الرئيس لا سبيل الى الرحمة فان هذا الحكم اخف ما يمكن . ثم وجّه نظرهُ اليَّ وقال أأنت الكولونيل جيرار . قلتُ نعم . قال وانت مساعد اللص المدعو الجنرال سوشاي احد انصار اللص الاكبر المسمى بونابرت . فلماذا اتيتم بلادنا وما هو غرضكم فيها ان لم يكن السلب والنهب فسترون العقاب العادل الذي سيحل بكم . اما انت فلك ذنب اكبر لا اود ذكرهُ لئلا اثير اشجان هذا الاخ الذي كان يكلمني الآن . ولما قال هذا نهض الاخ المذكور فقال انني لا اقدر ان احتمل ايضاً فاذا كنتم لا ترجعون عن حكمكم فانا استقيل . ولما وجد انهُ لا سبيل الى تغيير الحكم خرج من الردهة كالمجنون لا يلوي على شيء . ثم عاد الرئيس الى مخاطبتي فقال اما ذنبك الاكبر فهو طموح بصرك لعشق ابنة اشرف دوج في البندقية وحبيبة اشرف عظمائها وارث اسرة لوريدان . فخذهُ يا مانيو الى سجنهِ وامنعوا عنهُ القوت ثلاثة ايام ثم احضروهُ الينا لنختار لهُ ميتةً تليق بمثل هذه الخيانة . وقبل ان اتحقق ما انا فيهِ رفعني مانيو ورفاقهُ وأخذوني الى سجني والقوني فيهِ . ولما هدأ روعي فكرت ان ازيل الالواح الخشبية لا تعرف بشريكي في البلاء لعلنا نتعاون على الخلاص ففعلت ودخلت الى غرفتهِ فوجدتهُ شبحاً مطروحاً الى جانب الغرفة . فقلت لهُ ثق ايها الرفيق فقد اتاك الكولونيل جيرار ليعزيك . فلما سمع الشبح هذا الاسم نهض بارتعاش وقال جيرار انت هنا . وما سمعت هذه

الكلمات حتى علمت بمنتهى العجب ان رفيقي في السجن هو حبيبتي لوسيا فقلت لها ماذا اتى بكِ الى هنا . قالت كتابك . قلت انا لم اكتب اليكِ بل انما اتيت لانكِ كتبتِ اليَّ ان احضر . قالت وانا لم اكتب اليك . ثم تنهدت وقالت اذن هذان الكتابان كانا من اعمالهم الشيطانية . فاسمع . ان هؤلاء محكمة سرية تألفت لمعاقبة من يقبضون عليهِ منكم بدون شفقة ولما علموا بمحبتك لي ومحبتي لك احتالوا علينا فاحضرونا الى هنا وقد حكموا عليَّ بقطع اذني اليمنى لتبقى علامة ابدية لخيانتي بحب رجل فرنسوي وهم بلا شك سيحكمون عليك بالهلاك . ولا اخفي عنك ان فتى اسمهُ لورنسو لوريدان احبني وكنت احبهُ الى ان عرفتك فانصرفت عنهُ اليك وهو واحد من القضاة وقد دافع عني كثيراً ليخلصني من هذا القصاص فلم يلقَ مجيباً

وبينما انا استغرب هذه القصة وقد أنستني شفقتي على لوسيا افكاري في الموت اذا بجلبة تتقدم الى جهة سجننا . فقالت لوسيا ها انهم قادمون لتنفيذ الحكم فيَّ . فقلت لها لا تجزعي فانهُ لا يزال لنا امل في الخلاص ثم امرتها ان تطيعني بدون مراجعة فأخذت عباءتها وارتديتها ثم دفعتها الى حجرتي وارجعت الالواح وجلست مكانها . وللحال فُتح الباب وكان الظلام الحالك يساعدني على التستر فسمعت صوت ماتيو يقول ان القتل وسفك الدماء شيء تعوّدتهُ غير اني اشعر بشيء من الوجل في قطع اذن هذه الغادة المسكينة . فقال لهُ احد رفقائهِ انتظر ريثما نأتي لك بالمصباح . فقال لا فربما رجفت يدي اذا رأيت وجهها الجميل فانا اوثر ان اتمم فعلي في الظلام . وكان قد اقترب مني فلم أبدِ اقل معارضة وامسك ماتيو باذني اليمنى وللحال شعرت بخنجرهِ قد قطع اعلى محارتها (صيوانها) باسرع من البرق . واذ ذاك هممت ان انتشل منهُ الخنجر واغمدهُ في صدرهِ ولكن خشيت العاقبة وفضلت الانتظار ثم اخذت منديلاً وضعتهُ على الجرح وكان دمهُ يسيل بغزارة . وهمَّ ماتيو بالخروج فقال لهُ واحد من رفاقهِ اني اعجب من سكوت الفتاة واحتمالها الالم بدون ان تبدي ادنى صوت فاخشى ان تكون ماتت . فقال ماتيو وهل يموت الانسان من جرح اذنهِ . فقال الاول ولكن الافضل ان نتحقق ذلك فقال ماتيو هاتوا مصباحاً وتحققوا . اما انا فكدت

اجن من الغيظ وعلمت انهم ان احضروا النور اكتشفوا حيلتي . ولكنهم ما ابتعدوا قليلاً حتى سمعت ضجة قوية تلاها طعنات متوالية وصياح ارتفع من جميع الجهات يقول ليحيَ الامبراطور . فعلمت ان ذلك صوت رجالنا الامناء وعجبت من وصولهم الى هذا المحل الجهنمي

ثم رأيت شبحاً دخل حجرتي وقال بصوت ملؤهُ الشجن ارأيتِ يا عزيزتي لوسيا مقدار حبي لكِ فمع استيآئي العظيم منكِ لتفضيلكِ ذلك الوغد الفرنسوي عليَّ قد حاولت جهدي ان استبدل الحكم عليكِ بالرأفة ولما لم يستجيبوا طلبي فضلت خيانة وطني ورفاقي على ان يلم بكِ مكروهٌ فتركت المجلس وذهبت توًّا الى المعسكر الفرنسوي واطلعتهم على ما يجري هنا فتبعوني على الاثر وقد استولوا على هذا المكان . فهل يكفيكِ هذا البرهان على ولآئي . ثم سكت هنيهـةً وقال ما لكِ لا تجيبيني ايتها العزيزة . ولما لم يسمع جواباً اخذ عوداً من الثقاب واشعلهُ فما كاد يراني حتى اكفهرَّ وجههُ غيظاً وانتقاماً . ثم رأى اصفرار وجهي ونزف دمي فلانت عريكتهُ وقال ما هذا وماذا جرى لك وقبل ان اجاوبهُ كانت لوسيا قد دفعت الالواح الخشبية واخذت تقص عليهِ احتمالي قطع اذني من اجلها . فابرقت اسرتهُ ومدَّ يدهُ اليَّ مصافحاً وقال اني اصفح عنك ايها الشهم فان مروءتك فاقت باضعافٍ ما افقدتنيهِ

وهكذا وصلت جنودنا الابطال فلم ينجُ من ايديهم واحد من اولئك الطغاة وسررت جدًّا لما رأيت جثة ماتيو لا حراك بها . اما لورنسو فوُجد بعد يومين قتيلاً وقد طعنتهُ يدٌ لم يعرفها احد . و بعد ما اخلينا البندقيـة دخلت لوسيا ديراً ولعلها لا تزال فيهِ الى الآن . ومع مرور السنين الكثيرة على هذه الحوادث فاني لا ازال اذكر الدقائق التي كنا نصرفها معاً وقلبانا يتناجيان بخفقانهما . فقد انقضى الشباب وذهب الحب ولكن اخلاق الشهم لا تتغير وانا افتخر جدًّا بقطع اذني عوضاً عن تشويه خلقة ذلك الملك الطاهر كما انني اقسم بشرفي اني كنت ابذل لها اذني الاخرى لودعت الحال ان اقوم لها بمثل هذه الخدمة